@ 333 @ على من يشآء وا غفور رحيم) ^ يمتن تعالى ، على عباده المؤمنين ، بنصره إياهم في مواطن كثيرة من مواطن اللقاء ، ومواضع الحروب والهيجاء ، حتى في يوم (حنين) الذي اشتدت عليهم فيه الأزمة ، ورأوا من التخاذل والفرار ، ما ضاقت عليهم به الأرض على رحبها وسعتها . وذلك أن النبي صلى ا عليه وسلم لما فتح مكة ، سمع أن هوازن اجتمعوا لحربه ، فسار إليهم صلى ا عليه وسلم في أصحابه الذين فتحوا مكة ، وممن أسلم من الطلقاء ، أهل مكة ، فكانوا اثني عشر ألفا ، والمشركون أربعة آلاف ، فأعجب بعض المسلمين بكثرتهم ، وقال بعضهم : لن نغلب اليوم من قلة . فلما التقوا ، هم وهوازن ، حملوا على المسلمين حملة واحدة ، فانهزموا لا يلوي أحد على أحد ، ولم يبق مع رسول ا صلى ا عليه وسلم إلا نحو مئة رجل ، ثبتوا معه ، وجعلوا يقاتلون المشركين ، وجعل النبي صلى ا عليه وسلم يركض بغلته نحو المشركين ويقول : (أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب) . ولما رأى من المسلمين ما رأى ، أمر العباس بن عبد المطلب أن ينادي في الأنصار ، وبقية المسلمين ، وكان رفيع الصوت فناداهم : يا أصحاب السمرة ، يا أهل سورة البقرة . فلما سمعوا صوته ، عطفوا عطفة رجل واحد ، فاجتلدوا مع المشركين ، فهزم ا المشركين هزيمة شنيعة ، واستولوا على معسكرهم ، ونسائهم ، وأموالهم . وذلك قوله تعالى : ^ (لقد نصركم ا في مواطن كثيرة ويوم حنين) ^ وهو اسم للمكان الذي كانت فيه الوقعة بين مكة والطائف . ^ (إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا) ^ أي : لم تفدكم شيئا ، قليلا ولا كثيرا ^ (وضاقت عليكم الأرض) ^ بما أصابكم من الهم والغم ، حين انهزمتم ^ (بما رحبت) ^ أي على رحبها وسعتها ، ^ (ثم وليتم مدبرين) ^ أي منهزمين . ^ (ثم أنزل ا سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) ^ والسكينة ما يجعله ا في القلوب ، وقت القلاقل والزلازل ، والمفظعات ، ما يثبتها ، ويسكنها ، ويجعلها مطمئنة ، وهي من نعم ا العظيمة على العباد . ^ (وأنزل جنودا لم تروها) ^ وهم الملائكة ، أنزلهم ا معونة للمسلمين يوم حنين ، يثبتونهم ، ويبشرونهم بالنصر . ^ (وعذب الذين كفروا) ^ بالهزيمة والقتل ، واستيلاء المسلمين على نسائهم وأولادهم وأموالهم . ^ (وذلك جزاء الكافرين) ^ يعذبهم ا في الدنيا ، ثم يردهم في الآخرة إلى عذاب غليظ . ^ (ثم يتوب ا من بعد ذلك على من يشاء) ^ فتاب ا على كثير ممن كانت الواقعة عليهم ، وأتوا إلى النبي صلى ا عليه وسلم مسلمين تائبين ، فرد عليهم نساءهم ، وأولادهم . ^ (وا غفور رحيم) ^ أي : ذو مغفرة واسعة ، ورحمة عامة ، يعفو عن الذنوب العظيمة للتائبين ، ويرحمهم ، بتوفيقهم للتوبة والطاعة ،

والصفح في جرائمهم ، وقبول توباتهم . فلا ييأسن أحد من رحمته ومغفرته ، ولو فعل من الذنوب والإجرام ، ما فعل . ^ (يأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم ه ذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم ا من فضله إن شآء إن ا عليم حكيم) ^ يقول تعالى : ^ (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون) ^ با الذين عبدوا معه غيره ^ (نجس) ^ أي خبثاء في عقائدهم وأعمالهم . وأي نجاسة أبلغ ، ممن كان يعبد مع ا آلهة ، لا تنفع ولا تضر ، ولا تغني عنه شيئا ؟ وأعمالهم ما بين محاربة ، وصد عن سبيل ا ، ونصر للباطل ، ورد للحق ، وعمل بالفساد في الأرض لا في الصلاح . فعليكم أن تطهروا أشرف البيوت وأطهرها عنهم . ^ (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) ^ وهو سنة تسع من الهجرة ، حين حج بالناس أبو بكر الصديق ، وبعث النبي صلى ا عليه وسلم ابن عمه عليا ، أن يؤذن يوم الحج الأكبر ب (براءة) ، فنادى أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . وليس المراد هنا ، نجاسة البدن ، فإن الكافر كغيره طاهر البدن ، بدليل أن ا تعالى أباح وطء الكتابية ومباشرتها ، ولم يأمر بغسل ما أصاب منها . والمسلمون ما زالوا يباشرون أبدان الكفار ، ولم ينقل عنهم أنهم تقذروا منها ، تقذرهم من النجاسات . وإنما المراد كما تقدم نجاستهم المعنوية ، بالشرك ، فإن كان التوحيد والإيمان ، طهارة ، فالشرك نجاسة . وقوله : ^ (وإن خفتم) ^ أيها المسلمون ^ (عيلة) ^ أي : فقرا وحاجة ، من منع المشركين من قربان المسجد الحرام ، بأن تنقطع الأسباب التي بينكم وبينهم ، من الأمور الدنيوية ، ^ (فسوف يغنيكم ا من فضله) ^ فليس الرزق مقصورا على باب واحد ، ومحل واحد ، بل لا ينغلق باب ، إلا وفتح غيره أبواب كثيرة ، فإن فضل ا واسع ، وجوده عظيم ، خصوصا لمن ترك شيئا لوجه ا الكريم ، فإن ا أكرم الأكرمين . وقد أنجز ا وعده ، فإن ا قد أغنى المسلمين من فضله ، وبسط لهم من الأرزاق ما كانوا به من أكبر الأغنياء والملوك . وقوله : ^ (إن شاء) ^ تعليق للإغناء بالمشيئة ، لأن الغنى في الدنيا ، ليس من لوازم الإيمان ، ولا يدل على محبة ا ، فلهذا علقه ا بالمشيئة ، فإن ا يعطي الدنيا ، من يحب ، ومن لا يحب ، ولا يعطي الإيمان والدين ، إلا من يحب . ^ (إن ا عليم حكيم) ^ أي : علمه